سينما

«زانا» وحرب كوسوفو

تصوير أكثر التعابير حدّة

بعد 20 عاماً على انتهاء حرب كوسوفو، تعود أنتونيتا كاستراتي إليها لتقرأ فيها حالات وانفعالات وعلاقات، بلغة سينمائية جاذبة وحادّة

قيس قاسم

تريّث السينمائية أنتونيتا كاستراتي في الشروع بمراجعة حرب كوسوفو قبل 20 عاماً، التي عاشت جزءاً منها وخسرت خلالها أمّها وأختاً لها، مدعاة إلى التأمّل في فكرة التريّث نفسها، وبعض أطراف سجال منحاز إلى منح المبدع الزمن الكافي لتأمّل الحدث، بعيداً عن الانفعالات الآنيّة والحماسة المدفوعة بقوّة الإلحاح والتأثير الخارجي. هذا الجدل، المفتوحة أبوابه، وميل المخرجة إلى قطب مركزي فيه، يقبلان تأمّلاً طويلاً قادها إلى كتابة نصّ «زانا» (2019)، المتخلّص من تأثيرات سيرتها الشخصية، بعد عقدين على التجربة المُعاشة.

بعد انتهاء الحرب، أي حرب، يندفع الناس إلى نسيانها. لا يريدون تذكّر أهوالها وبشاعاتها. قوّة الحياة والرغبة الغريزية في عيشها تدفعانهم إلى ذلك، فيبنون، من دون وعي منهم، حواجز تمنع تذكّرها. يصنعون للنسيان غلافاً واقياً، ويندفعون جماعةً إلى ترميم أي ثغرة تظهر فيه، فهم لا يريدون مطلقاً وجود ما يُزعزع طمأنينتهم الهشّة. من دون إرادتها، وبفعل الحرب نفسها، تزعزع لومه (أدريانا ماتوشي)، المرأة الثلاثينية الحيوية وشديدة البأس، تلك الطمأنينة، بأحلامها المخيفة وكوابيسها الليلية غير المنقطعة منذ موت ابنتها زانا على أيدي أفراد من القوات المسلّحة لـ«جمهورية يوغسلافيا الاتحادية»، المندفعة حينها بوحشية إلى منع فكرة قيام دولة كوسوفية مستقلّة عنها. لم تحمل لومه، بعد موت ابنتها، جنيناً في بطنها. بسبب عُقْمها، تواجه متاريس بشرية لا تقبل إلا بما يضمن ديمومة نسيانها، وما مولد طفل جديد إلا خطوة أولية نحو نسيان الماضي وضحاياه. العجز عن الاستجابة يزيد آلامها النفسية، ويدفعها إلى انعزال وانقطاع مع كلّ ما من شأنه بعث حياة جديدة داخلها. وعبر الأوجاع النفسية وألم الذكريات، تدخل كاستراتي إلى حرب البلقان، وتراجع تاريخاً لا يستقيم حاضرُ من عاشه من دون نظرة فاحصة منهم، لما فيه من حوافز تقبل تكرار ما جرى ثانية، والتوقّف ملياً عند ما أحيته من شوائب ماضٍ عجّلت في صعودها إلى السطح. في كتابتها تلك، تجنّبت إعادة تكرار أنماط سردية مستهلكة لحالة «ما بعد الصدمة».

السيناريو، الذي كتبته بمشاركة كاسي كوبر يوهانسون، ينفتح على حساسيات مجتمعية وتعقيدات ثقافية، تزيد من غرابة حكاية أخذت منحنى متفرّداً في صوغ مكاشفة جريئة لا تتوقّف عند «الجلّاد» فقط، بل تتوسّع نحو المتشاركين معه من «الضحايا» في تعميق أوجاع امرأة، لم تجد تعاطفاً كافياً معها ولا فهماً إنسانياً لعجزها عن إنجاب طفل، خوفاً من تعرّضه للمصير نفسه الذي تعرّضت له طفلتها.

بدلاً من التسهيل، يوغل «زانا» في التعقيد ليمنح «الضحية» المزدوجة مساحة جيدة للتعبير عما يجتاح دواخلها من وجع لم ينقطع. تكشف أنتونيتا كاستراتي ما أحيته الحرب من معتقدات خرافية، آمن الناس بها في زمن مضى، وحسبوا أنّهم تخلّوا عنها في زمن «التحضّر الغربي». الرغبة الشديدة في نسيان الحرب لا تستنكف استعادة الماضي بترسّباته وخرافاته. هذا يفسّر تعرّض الأم الثكلى لأصناف من الاختبارات الجسدية العنيفة والنفسية المؤلمة. سَحَرة ومشعوذون يمارسون طقوسهم عليها وسط رضى عام وسائد، لا يتورّع عن التهديد بإحضار زوجة ثانية لزوجها إيلِر (أستريت كباتشي) لتقوم بما تعجز عن القيام به، أو ترفضه مجبرة.

فعل الإنجاب القسري يغدو، في «زانا» . المرشّح رسمياً عن كوسوفو لجوائز «أوسكار» الـ92 (9 فبراير/ شباط 2020) في فئة أفضل فيلم غير ناطق باللغة الإنكليزية، لكنّه لم ينل ترشيحاً رسمياً من «أكاديمية فنون الصورة المتحرّكة وعلومها» . مُرادفاً لفعل الانتقام، وتعبيراً عن شدّة خوفٍ من انكسار محتمل في جدار النسيان المرغوب تمتينه على حساب امرأة وحيدة، تقترب تدريجياً من حافة الجنون. نقلُ اضطرابها احتاج إلى أداء تمثيلي رائع، ومُصوّر يعرف أين يقف وكيف يلتقط أشد التعابير حدّة. تكليف شقيقتها، المصوّرة البارعة سِفديه كاستراتي، بتصوير «زانا» نابع من ثقتها بها، ومن معرفتها بدرجة تشبّعها بتفاصيل حكايتها. تفاعل صانعته مع المكان ومحمولاته الثقافية، ومعرفتها بخبايا الحياة الكوسوفية، أضفيا وحدةً داخلية على تنافر وتنازع ظاهرين، سادا المشهد العام. حرصها على الإمساك بنصّها، وعدم السماح بخروجه عن السيطرة، على كثرة ما فيه من تشابك معقّد بين الحلميّ والأسطوريّ والواقعيّ، محسوسان طيلة مدّة عرضه (97 دقيقة). مسار سرده الحكائي اغتنى بالوثيقة. هناك تسجيلات فيديو لمقابر جماعية، ومشهد آخر ختامي (يوحي للمتفرّج كأنّه مُصوّر بكاميرا فيديو منزلية) تظهر زانا فيه مع والديها في عرس عائلي، قبل مداهمة قوات الجيش اليوغسلافي لهم وتصفيتهم جميعاً، ما عزّز . مع تلك الوثائق . الحدث المتخيّل، المستند في العمق إلى وقائع حقيقية عاشتها أنتونيتا كاستراتي وبلدها، ولا يزالان . بعد عقدين من الزمن . متأثّرين كثيراً بها.

«زانا»: استعادة حربٍ وتأمّل في راهنٍ (الملف الصحافي للفيلم)

وقائع حقيقية لا تزال تؤثّر بأفرادٍ وبلد إلى اليوم

«هنّ المغنّيات»: احتفال سينمائيّ بالأوبرا

باريس ـ **ندى الأزهري**

4 أفلام قصيرة لـ4 مخرجين في فيلم واحد، بناءً على طلب من «دار الأوبرا» في باريس. فيها، ترتفع أصوات نساء، تستحضر بطريقتها الخاصة العالم الذي يعشن فيه. «أولئك اللواتي يُغنّين» (ترجمة حرفية للعنوان الفرنسي Celles Qui Chantent)، اختير رسمياً لمهرجان «كانّ» غير المنعقدة دورته الـ73 في موعدها، بسبب «كورونا»، بينما عروضه التجارية الفرنسية بدأت في 8 يوليو/ تموز 2020. الفيلم «مناسبة لإسماع صوت السينما والعرض الحيّ، الوثائقي والروائي، عالم اليوم وعالم الماضي»، كما في تقديمه. «هنّ، المغنيات» (ترجمة غير حرفية للعنوان) يحتفل بالأوبرا من خلال رؤية فردية لفنّ الغناء الأوبرالي، في 75 دقيقة. أفلام متفاوتة في نوعيّتها، وأحياناً في قيمتها وإيحاءاتها ودرجة إمتاعها وأثرها. رحلة في الزمان والمكان يقودها الصوت، ويتشابك فيها الواقع بالخيال، مع بعض غموض وحزن، وقليل من طرافة وتلاعب. كلّ مخرج يُعبّر بطريقته عن شيء من بلد ومجتمع وعادات. فيلمان غربيّان وفيلمان شرقيّان، يتجلّى الفرق بينها في مكانة المغنّيات في عوالمهنّ، كمشهورات أو غير مشهورات، وكمعبودات أو كـ«ممنوعات».

تظهر المشهورات في «ليلة في الأوبرا»، للأوكراني سيرغي لوزنيتسا. يتوافد كبار القوم ونجومهم للاستماع إلى الديفا ماريا كالاس. تجميع فيديو من أرشيفٍ (1950 . 1960) يُظهر توافد أهل باريس وضيوفها، في سياراتٍ فخمة، إلى «أوبرا قصر غارنييه»، يترجّل منها شارل ديغول وبريجيت باردو والملكة إليزابيت وشاه إيران وتشارلي شابلن وغيرهم. تلاحقهم الكاميرا من لحظة وصولهم وإقامة المراسم للشخصيات السياسية، إلى ظهور النجمة ذات الصوت الفريد، واختفائها خلف الستارة بعد تصفيقٍ حماسيّ يكاد لا يهدأ. تتوقّف قليلاً عند جمهور مبتهج يحتشد في الخارج، لرؤية أشهر الناس. تدافعٌ وتعبيرٌ مُدهش عن عالمين مختلفين. لكنّ هدف الفيلم ليس هذا، بل الصوت الساحر الذي يُختتَم به، وعالم الجمال والأناقة والابتسامات والانحناءات. لوزنيتسا لامعٌ في اختياره صُور الأرشيف، وبارعٌ في المونتاج. يُنجز عملاً فريداً، كما في «جنازة رسمية» (2019، عن جنازة ستالين)، مُمتعاً ومُبهراً بتوليفه وجمعه صُوراً تعكس وجوهاً من عالمٍ انقضى.

في موازاة مؤثّرة ومُربكة، يسير عالم «دار الأوبرا» في متاهة ممرّاته، مع عالم ممرّات مشفى لمعالجة السرطان، في «فيوليتا»، للمخرجة المسرحية الفرنسية جولي دوليكي في أول فيلم سينمائي لها. هناك مغنية تغني المرض في مرآة مريضة، بتوازن بين بطلة «لا ترافياتا» (1853) لغويسيبّي فيردي، وبين مُصابة بالسرطان. فيلمها مستوحى من شَبهٍ مدهش انتبهت إليه بين ممرّات «دار أوبرا الباستيل» (باريس) ومركز علاج للسرطان تتردّد عليه. بين الوثائقيّ والروائيّ، هناك متابعة لمغنية الأوبرا ألكسندرا كورزاك أثناء تحضيراتها، ثم أدائها لدور فيوليتا فيردي في مواجهتها المرض، وفي رحلتها نحو الموت.

نساء يُغنّين تنويعات مختلفة بطلبٍ من «دار الأوبرا»

سيرغي لوزنيتسا: توليف ممتع وباهر (فيتّوريو زونينو سيلوتّو/ Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أقوالهم

الشغف بالسينما يُلمِّح إلى أنّ الأفلامَ تجارب سحرية فريدة غير قابلة للتكرار. إذا مات الشغف بالسينما، فإنّ السينما تموت أيضاً. لو استطاعت السينما أنْ تُبعَث من جديد، فذلك يكون من خلال ولادة نوع جديد من الشغف بالسينما فقط.

سوزان سونتاغ

إنّ عالماً متغيراً يعمل وفق طاقة تحوّلية جبّارة يفرض على السينما أنْ تُقدِّم الجديد، إذْ إنّ سرعة تحوّل الفكرة الجديدة إلى قديمة باتت أصعب من أنْ يُحاط بها. هكذا يجد المنتجون اللاهثون إلى ربح أنّ الرهان على الفكرة الجديدة، مضموناً وشكلاً، أجدى منْ إعادة إنتاج الكلاسيكيات المعروفة، حتى وإنْ غدا المنتج السينمائي بلا خطابٍ يقوله.

علي سفر

أفعالهم

La Voix Humaine لبيدرو ألمودوفار، تمثيل **تيلدا سوينتن** (الصورة): مقتبساً إياه من مسرحية مشهورة بالعنوان نفسه (1928) لجان كوكتو، أنجز ألمودوفار فيلماً قصيراً عن الحوار الأخير الذي جرى هاتفياً بين امرأة وعشيقها. يُذكر أنّها المرّة الأولى التي يُنجز ألمودوفار فيها عملاً سينمائياً له بلغة غير لغته الإسبانية، إذْ كتب وترجم إلى الإنكليزية مشروعه هذا (15 دقيقة)، مُصوّراً إياه باللغة الإنكليزية أيضاً.

Tout Simplement Noir لجان . باسكال زادي وجون واكس، تمثيل زادي نفسه و**كارولين أنغلاند** (الصورة): ممثل فاشل (40 عاماً) قرّر تنظيم أول مسيرة احتجاج للسود في فرنسا. لكن اجتماعاته مع شخصيات مؤثّرة في المجتمع اتّسمت غالبيتها بالهزل والسخرية، رغم أنّه بحاجة ماسّة إلى دعمها.

أخبار

◆ في برنامجها الجديد «على الشرفة»، تستعيد «دار نمر» في بيروت نشاطاتها المتنوّعة، بعد غياب أشهرٍ بسبب تفشّي فيروس «كورونا»، بعرضٍ سينمائي، «مع الالتزام بالتباعد الاجتماعي وإجراءات السلامة». مساء غدٍ الثلاثاء، يُعرض «عندما يأتي المساء» (2000، 67 دقيقة، باللغة العربية المرفقة بترجمة إلى الإنكليزية) لمحمد سويد، بحضوره لنقاش بعد العرض: في بداية سبعينيات القرن الـ20، ضمّت «السرية الطالبية . منظّمة التحرير الفلسطينية» طلاباً لبنانيين يساريين. ومع خروج مقاتليها من بيروت، بعد الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، تمّ حل السرية، التي انتمى إليها سويد نفسه، الذي قرّر لاحقاً لقاء أصدقائه فيها، عائداً معهم إلى أماكن في الذاكرة، وراسماً صورة لهم وعنهم.

◆ ذكر تقريرٌ لـ«رويترز» أنّ صالات سينمائية صينية عدّة أعادت فتح أبوابها، بعد 6 أشهرٍ من الإغلاق التام بسبب تفشّي فيروس «كورونا». وبحسب التقرير، فإنّ إعادة فتح أبواب الصالات تلك «تبعث أملاً في أنْ تتمكّن ثاني أكبر سوق للأفلام في العالم من التعافي من خسائر فادحة، تكبّدتها خلال أزمة الفيروس». ونقلت الوكالة عن السلطات الصينية قولها إنّها ستسمح للصالات «في مناطق منخفضة المخاطر باستئناف نشاطها في نطاق محدود».

أضاف التقرير أنّ عدد الإصابات بالفيروس تراجع كثيراً منذ مارس/ آذار الماضي، في بلدٍ (الصين) «تُصنّف غالبية مدنه الآن بأنّها منخفضة المخاطر». لكنّ الأيام القليلة الماضية شهدت تصنيف مناطق في «أورومتشي» (عاصمة إقليم شينجيانغ . أقصى غرب البلد) بأنّها «ما بين متوسّطة وعالية المخاطر»، بسبب تفشٍّ جديد للفيروس: «مدن عدّة لم تسمح بإعادة فتح الصالات السينمائية إلى الآن، علماً أنّ الحكومة الصينية تركت قرار فتحها من عدمه للسلطات المحلية». أما صالات بكين فمغلقة. وذكرت منصّة لمبيعات التذاكر الصينية أنّ مبيعات 20 يوليو/ تموز 2020، أول يوم لإعادة افتتاح الصالات، بلغت مليون يوان (433 ألفاً و662 دولاراً أميركياً)، علماً أنّ إيرادات عام 2019 بلغت 64 مليار يوان، بينما توقّعت «إدارة الأفلام الوطنية»، في إبريل/ نيسان الماضي، أنْ تبلغ خسائر القطاع أكثر من 30 مليار يوان (الدولار الأميركي يُساوي 6.9870 يوان).